فينومينولوجيا الملاحظة الميدانية وبناء الواقع الاجتماعي
- تأملات في التجربة الذاتية –

د. بن لعوج لطفي
جامعة مستغانم-الجزائر

الملخص:

إن التصور المسبق والسائدة اليوم في العلوم الاجتماعية يدعو إلى نظرة علمية متساوية عندما يتعلق الأمر بالفعل الملاحظ للظاهرة خارجيا، فمن هذا المنظور يتجه الباحث الإثنوجرافي بميوله الخاصة ليثبت مركزيته، متوقعا أن يمتلك نفسه ثانية للعالم الاجتماعي، لكن حضور الفاعل الاجتماعي في حد ذاته يعبر عن نمط حياة في هذا العالم، أين تتزاوج فينومينولوجيا التجربة الملاحظة مع المقاربة البراجماتية، فيستدعي ذلك مخلفات منهجية.

الكلمات المفتاحية : الغيرية الأنثروبولوجية - العلاقة البينية - البراكسيس – الموقع الميداني - الملاحظة الاثنوجرافية

Abstract:

the Common assumption in social sciences equating the scientific perspective with the fact of observing the investigated phenomenon from without, At this point, the ethnographer's commitment- including his/her affects – proves central to capture the verisimilitude of a social world, but the presence of Actor social into their lives and even writhing the words,

coupling a phenomenology of observing experience to a pragmatist approach, we will examine the Methodological consequences.

Keywords: Anthropological alliterate – Interrelation – praxis – field site – ethnographical observation.

مقدمة:

ظهرت النظرية الاجتماعية الوضعية في ثوبها الجديد نتيجة امتداد المنهج التجريبي التقليدي إلى دراسة السلوك والفعل الاجتماعي وتطبيق الاستقصاء العلمي، بالإضافة إلى خضوع دراسة الظواهر الاجتماعية للمنهج الإحصائي التحليلي الواقعي، كما أسهمت المعرفة الوضعية في تطوير هذا الاتجاه الذي يمكن إرجاعه إلى دراسات ***جورج لندربج*** السلوكية و***"وليم جيمس"*** البرجماتية في إثراء هذا الاتجاه على أساس أن المعرفة يجب أن تكون نتيجة الانطباعات الحسية،[1] فالنصف الثاني من القرن العشرين كان منعرجا حاسما استجابت الوضعية حينها لانبثاق ***"الاتجاه الفينومينولوجي"*** ففي علم الاجتماع أي واقع أو عالم ما قد لا يعبر عن ما كل ما هو خارجي ولا عن أي هدف ولكنه إنتاج للمدركات التي يمتلكها الأفراد بالمقابل عمل الباحث الذي يرتكز على تجميع المعطيات الخاصة بالأفعال ذو التكرارات القابلة للقياس والتي من خلالها يمكن لبعض الظواهر أن تبحث في الروابط السببية بين السلوكيات والعوامل الخارجية.[2]

---

[1] أحمد الخشاب . **التفكير الاجتماعي- دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان:1981، ص622

[2] Samia karaui- zouaoui. **Méthodologie de recherche-guide pour préparation des mémoires de fin d'étude en gestion,** Edition C.L.E, Tunis : 2001, p26

فعندما نذكر كلمة "أداة بحث" غالبا ما نتخيل مادة ملموسة... كالأدوات التي يستخدمها (الميكانيكي) أو الطبيب وما إلى ذلك وللوهلة الأولى يتطابق هذا التخيل مع أدوات البحث بالمعنى المادي فأدوات البحث سواء أكانت استمارة أو ملاحظة أو مقابلة، بإمكاننا توظيفهم في مجتمعات بحثية متباينة تحدد وفقا لسياق العلاقات القائمة والبني الاجتماعية التي قد تعبر عن واقع وحقائق مستترة تلعب الأداة البحثية دورا مهما في تقصي حقائق هذه العلاقات في إطار منظم وممنهج ، حيث تتجلى لنا بعض الأفعال الكامنة التي يسبر أغوارها الباحث، لكن قبل ذلك كان لزما عليه أن يستوعب الخاصية التفسيرية التنبؤية والموضوعية لأداة البحث في بعدها ومنعرجها الظواهراتي،فمن منطلق هذه الخلفية أي (التجربة الذاتية) تعتبر **المدرسة الفينومينولوجية** من أهم المدارس التي ركزت على جوانب (الخبرة الذاتية)، حيث يتحدد سلوك الإنسان بمظاهر خبراته وليس بموضوعية خارجة عنه، فالباحث الأكاديمي عندما تتراكم لديه مشاهد الحياة اليومية والتقسيمات الخاصة بالواقع يستعمل خطط وينتج تمثلاث ويكيف استراتيجيات ليصل فيما بعد إلى إسقاط كل الأبعاد، سواء كانت ظاهرة مستترة أومن أجل رسم معالم تلك الفئة الملاحظة.[1]

هذا المشروع الذي يتأسس قطاع كبير منه على هذه التفرقة بين **"الماهية والواقعة"** ستراهن فيه التفسيرات**"السوسيو- الأنثروفينومينولوجية"** كثيرا على تطويرها في النظرية المعاصرة، منتقلة إلى مرحلة إعادة إنتاج الفكرة على الوقائعة نفسها، بوصفها بنية ظاهراتية يمكن تفكيكها هي الأخرى إلى الخارج الواقعة، أي ما هو ظاهر لنا منها وداخل الواقعة أي ما هو ليس بظاهر لنا- وهنا نحن ملتزمين بتوثيق وتحليل

[1] Christophe d'argerg. **Observation incognito en sociologie Edition l'harmattan** ,presse universitaire de Grenoble ,France :2012,p28

هذه العمليات،لا أن نقتصر عن مفهوم الواقع الاجتماعي الناجم عنها بل تعميق النظر في المشاهدة الميدانية[1]فأي ملاحظة سلفا تحتاج إلى جملة احتياطات تقود إلى التفكير قبل النظر، فهي على الدوام تحمل طابع المناظرة لأنها تؤيد أو تبطل نظرية سابقة أو إطارا ما أو مستوى ملاحظة، إنها تظهر حيت تبرهن، فهي تصف الظواهر وتتعالى على المباشر، وتعيد بناء الواقع بعد إعادة بناء أطره العامة.[2]

1- الملاحظة – تعريفها / أنواعها :

تعتبر الملاحظة من أقدم الطرق في ميدان العلوم الاجتماعية، تأتي في أول سابقاتها كمكانة مركزية تخص المقابلات الأولية مثلها مثل المقابلة البحثية على الميدان وبما أن الفعل الاجتماعي ملهم على حدّ تعبير ***"M. Mauss"***، فالملاحظة تقتضي تحمل أعباء الحرفة لاستخلاص كل ما يمكن افتراضه كإلهام يخص: مجموعة، ثقافة، تفاعل، ففي وضعية كالمقابلة نجد الملاحظة تطالب هذا الأخير (أي الباحث الذي يوظف المقابلة) أن يكون منتبها على الخصوص عند استقبال أي معلومة أو معطيات ما أو حجج متجددة، قادرة على تعزيز أو التركيب بين فرضيات وجدت يوما بعد يـوم عند هذا الملاحظ الممارس.[3]

---

[1] علاء جواد كاظم .**التأويل الذاتي للعالم. المنعرج السوسيو فينومينولوجي لنظرية الحداثة**، مجلة إضافات، صيف 2011، ص127

[2] غاستون باشلار. **الفكر العلمي الجديد**.المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.ترجمة :د.عادل العوا.ط2.بيروت.لبنان:1973.ص ص14-15

[3] Le uu koha.**Les liens méthodologique et parenté épistémologique entre les sciences social;** presses Universitaire de septemption, paris; France, 2000, p81

✓ **أنواع الملاحظات:**

- **الملاحظة العفوية البسيطة *(direct)***: أي غير المقصودة أو المضبوطة فهي تنجم عنها فرضية تحتاج إلى بحث وتدقيق وتستخدم في الدراسات الاستكشافية، كملاحظة سلوك شخص بشكل مباشر، دون تخطيط مسبق.
- **الملاحظة المقصودة (المنظمة)**: أي غير المباشرة ***(indirect)***: هي تلك التي توجهها فرضيات معينة أو نظرية محددة وتتم في ظروف مخطط لها.
- **الملاحظة الفردية والملاحظة الجماعية:** لكل منهما موجبات واستعمالات تفرضها طبيعة البحث.[1]
- **الملاحظة المكممة:** إن باحثا يريد التوصل إلى نتائج كمية (مقارنة نظم المقادير:نتائج إشاعة أو قياس ظاهرة)، يجب عليه أن يهيئ أدوات قياسه ومع ذلك فالمقدمات التي يبدأ البحث على أساسها هي دائما فكرية ونوعية: الفرضية والمفهوم وصياغة الأصناف، كما تستعمل الملاحظة الكمية عندما نريد أن نستبدل انطباعات ذاتية بنتائج محددة، بعبارة أخرى مقارنة مواقف أو مفاهيم تلمح إلى ظاهرات قابلة للتدرج: قياس الاستبدادية أو عندما تعميم إحصائية ممكنة.[2]

✓ **تقسيم الملاحظة حسب الأهداف:**

❖ **ملاحظة محددة *(structuré)***: إذا كان لدى الباحث تصور مسبق عن المعلومات التي يلاحظها أو السلوك الذي يراقبه وقد تكون الملاحظة:

❖ **غير محددة *(déstructuré)***: حين يقوم الباحث بدراسة مسحية للتعرف على واقع معين أو بجمع البيانات والمعلومات.

---

[1] رجاء وحيد دويدري. **البحث العلمي – أساسياته النظرية وممارساته العملية**، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا : سبتمبر، 2000، ص320

[2] مادلين غرافيتز. **مناهج العلوم الاجتماعية – منطق البحث في العلوم الاجتماعية**،المركز العربي للتعريب،ط1، ترجمة : د. سالم عمار، دمشق،، سوريا : 1993، ص 68

✓ **تقسيم الملاحظة وفق دور الباحث:**

❖ **ملاحظة بمشاركة:** حيث يعيش الباحث الحدث نفسه ويكون عضوا في الجماعة التي يلاحظها،[1] حيث يتم التركيز على الثقافات الفرعية كالعصابات وجماعات الشباب.

فمن أوائل الدراسات المهمة في هذا المجال دراسة ***وليام فونت وايت*** عن مجتمع النواصي، حيث قام بدراسة الزمرة في منطقة فقيرة في شيكاغو يسودها المهاجرون الايطاليون ليستشهد ***وايت*** قائلا:

"تعلمت من جلساتي واستماعي(إلى مفردات البحث إجابات عن أسئلة لم أتجرأ أن أسألها لو أنني كنت قد حصلت على بياناتي من خلال المقابلة فقط"[2]

❖ **الملاحظة دون المشاركة:** فبوصف الباحث ملاحظا بسيطا غير مشارك، فإن حضوره يمكن أن يمنع ظاهرات التفاعل التي قد تحدث في غيابه، فتأثيره الملاحِظ على الموقف الملاحَظ ليست المشكلة الوحيدة، فيجب الأخذ بعين الاعتبار أيضا تأثير الموقف على الملاحِظ.[3]

2- بناء إطار الملاحظة:

يعرف "إطار الملاحظة" بأنه أداة تستعمل في جمع المعطيات أثناء إجراء الملاحظة في عين المكان، سيجعلنا نشاهد أشياء كثيرة ومتنوعة في نفس الوقت فإن استعانتنا بإطار الملاحظة سيسمح لنا بفرز ما يستحق فعلا ملاحظاته من جملة الأشياء الكثيرة الأخرى ومن البديهي، أن يكون إطار الملاحظة هذا معتمدا على التعريف

---

[1] رجاء وحيد دويدري. **نفس المرجع السابق،** ص ص . 320-321

[2] محمد الجوهري. **دراسات اجتماعية معاصرة،** دار المعرفة، ط1، القاهرة، مصر: 2006 ، ص104

[3] تيودور كابلوف. **البحث السوسيولوجي الكمي** – دار الفكر، ترجمة : نجاة عياش،بيروت، لبنان: 1976، ص126

الإجرائي للمشكلة المطروحة للدراسة، فلهذا الغرض يجب أن يكون هذا الإطار متضمنا، بشكل أو بآخر للمفاهيم والأبعاد والمؤشرات المتولدة عن عملية التحليل المفهومي ولبنائه يجب علينا حصر العناصر المنتمية إلى الوسط المراد ملاحظته والإحاطة التامة بهذا الوسط، مع إقامة نظام لتسجيل الملاحظات[1]، فبعدما كان البحث الميداني يعتمد على التنظير كما هو الحال عند ***"مورجان"*** و***"بواس"*** أصبح إمبريقيا تجريبيا ولهذا فرض هذا المنهج نفسه على المختصين والمحترفين، فأحدثت القطيعة بين مرحلة التنظير التي كانت تعتمد على مجرد انتقاء المعلومات من دون اختيارها أو التأكد من صحتها أو كذبها ومرحلة التجريب والاستقراء فهي مرحلة أصبح فيها الباحث رجل ميدان وكأنه جزء من موضوع الدراسة وعنصر من عناصر أفراد القبيلة التي عايشها[2]وفي هذا الإطار يحدد ***"F-Fernandes"*** بأنه يجب الاحتراز عند إسقاطنا لمصالح الفعل على النظرية "وهـذا لا يكون إلا جزء منفرد يخص ملاحظة الأفعال التي تخص التغيير[3] بعبارة أخري لا يوجد أي مقابلة بحث نسقية لا تتأسس على علاقة قائمة بين مكانة الأنثروبولـوجي المحترف والتطبيق الميداني في حين يمكننا التفكير في هذه العلاقة المنفـــردة التي تتولى الاعتبار لكل ما هو فعـــل أو فعل في الميدان، أين يطرح السؤال المنهجي بكيفية مستقلة عن تغيرات

---

[1] موريس أنجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية – تدريبات عملية**، دار القصبة، ترجمة : بوزيد صحراوي وآخرون،الجزائر العاصمة، الجزائر: 2006، ص234

[2] مصطفى تيليوين. **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر العاصمة، الجزائر:2011، ص102

[3] Roger bastide. **Anthropologie appliquée**, p-b- Payot 2e éd, paris, France : 1971, p193

وضعيات المقابلة، تلك المعبرة عن ردة فعل موجودة تقرب الباحث الأنثروبولوجي من المهني ، فمعرفة الفعل ***Savoir faire*** تؤخذ أمبريقيا.[1]

3- الدخول إلى ميدان (اختبار الموقع)- التفاوض- الإفصاح:

يريد باحثوا الميدان عمل البحث على الموقع الميداني ***Field-site*** غير أن هذا المصطلح مغرر وغير محدد، فالموقع هو السياق الذي تحدث فيه الأنشطة والأحداث أو منطقة معروفة اجتماعيا لها حدودها المتنقلة، حيث يبدأ الباحث من الحلقة الأولى ليكون الدخول سهل، فهو لا يزال خارجي يبحث عن المعلومة العامة والحلقة التالية تتطلب دخولا قوي، فعندما يبدأ ملاحظة الموقع عن قرب يصبح ملاحظ سهل غير مستفسر عما يقوله الأعضاء وبمرور الوقت، يلاحظ الأنشطة المحددة شديدة الحساسية فيطلب تفسيرا لما يرى،[2] كما أن بناء الموضوع ومع مرور الزمن يستدعي تحليلا من النمط البر هاني حول أدوات الملاحظة، فهو يتماثل في شيء فيما يخص العينة الممثلة، فاختيار الميدان لا يكون إلا بدلالة الخصائص النظرية المطابقة: فلا شيء يضمن صيرورة هذا الأخير إلا بمعرفة سياق الملاحظات، ممارسة الملاحظة المباشرة تعلن عن أكبر تدعيم للميدان المتاح،[3] ثم يحدث بعد ذلك التفاوض مع كل عضو جديد حتى يتم التوصل إلى علاقة ثانية تتطور على تنمية الثقة واكتساب المعلومات والتقليل من تفاعلات الكره والعداء وغالبا تطلب المجموعات المنحرفة مفاوضات خاصة للحصول على المدخل باستخدام اتصالاتهم المنفردة،

---

[1] J. François. Barré. **L'application de l'anthropologie.** Les Edition KARATHALA. Paris. France : 2008. P p 39-40

[2] لورانس نيومان. **المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع**، الدار العلمية للنشر، ط1، ترجمة : عبد الرءوف الضبع، الجيزة، مصر: 2009، ص ص347-348

[3] Anne-M- Arborio- pierre fournier. **L'enquête et ses méthodes : l'observation direct.** Ed : Nathan. France : 1999.p25

قاصدين بذلك الإصلاحيات ومكاتب الرعاية الاجتماعية،[1] كما يعتبر التحقيق الميداني إحدى التقنيات والمقاربات التي ساعدت على تطور الأنثروبولوجيا في أمريكا، فالأعمال التي قام بها ***F-Boas (1942-1952)*** والذي يعد سيد الملاحظة المباشرة والمؤسس للانثروبولوجيا الأمريكية تتلخص دراسته للمجتمعات الاسكيمو والهنود في الشمال الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية ، فلقد أسس هذا الأخير مرحلة جديدة من البحث الخاص بالدراسات المونوغرافية الكبيرة التي أثرت فيما بعد على البحوث التي أنجزت من طرف ***"مالينوفسكي"*** في جزر التروبويند و***Firth*** في تيكوبيا، فبالنسبة لـ ***Boas*** كل ثقافة تعد ظاهرة فريدة وخاصة.

[2] ففي دراسته الحقلية الشهيرة بين الاسكيمو في جزيرة (Baffin) يذكر أنه كان يمشي لمدة ست وعشرين ساعة دون توقف أو تناول أي طعام أو شراب يقول:

"إنّ هذه الرحلة بالنسبة لي (كإنسان يفكر) ذات تأثير لا يقدر بثمن، لتكمن أهميتها في تعزيز وجهة النظر القائلة بأن الثقافات كلها أمور نسبية وأن الشر والخير بالنسبة لأي إنسان إنما يمكننا داخل ثقافة قلبه هو والتي أجدها أو لا أجدها،هنا تماما كما في وسطنا نحن..."[3]

✓ **تسجيل وتحليل البيانات:**

أما فيما يتعلق بتسجيل الملاحظة يقول ـ***كنج King***: "لقد ملئت ***32*** كراسة، مستخدما نصف مليون كلمة لتسجيل الملاحظات التي تمت في أثناء ملاحظة مدتها ***600*** ساعة..." كما اعترف ***"ولكوث"*** أن عملية تدوين الملاحظة ساعدته على

---

[1] لورانس نيومان. **نفس المرجع السابق،** ص350

[2] مولاي الحاج مراد. **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية،** CRASC، وقائع ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟، تيميمون 22،23،24 نوفمبر1999، ص25

[3] حسين فهيم . **قصة الانثروبولوجيا- فصول في تاريخ علم الإنسان،** المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، العدد98، الكويت : 1986، ص26

مقاومة الملل الشديد الذي يشعر به أحيانا عند ملاحظته للتجمعات الكثيرة التي يقوم بها ناظر المدرسة، وأحيانا تقع سلسلة من أحداث بدرجة كبيرة وسريعة، فيضطر ***"وولكوث"*** إلى تدوين بيانات سريعة ثم يتبعها بتعليقات أكثر إيضاحا، وتجدر الإشارة إلى نصيحته النابعة من خبرته كباحث يعتمد الملاحظة،حيث يجب أن تستأنف عملية الملاحظة مرة أخرى قبل أن تستكمل ويعلق على الملاحظات والانطباعات السابقة التي دونت كنقاط مهمة،[1]لكن أحيانا قد يتعرض الباحث إلى عدم الإجابة، فيمكن لمسئولي معاهد السبر، الاعتراض بقولهم أن اختيار عينات غير نوعية للسكان يصبح آليا بواسطة رفض الإجابة وعدم الإجابة التي يتوقعونها لكل سؤال ففي حالة ما إذا كانت عفوية، فإنه يمكن التفكير بأن كل هؤلاء المجيبين لديهم من حيث التعريف رأي ما ولكن قد لا يعبرون عنه.

- ✓ **الملاحظة (تحليل وتنظيم)**: بالملاحظة يمكننا تنظيم ما يمكن مشاهدته، فبفعل الملاحظة وما تثيره بواسطة بنود وأسئلة أكثر وعيا وبناءا ، فعندما نلاحظ نقوم بشيئين في آن واحد:
  - التحليل حيث نشرح الفعل أو الوضعية.
  - نقوم بوظائف بنائية لأجل تحديد الخصائص وإضفاء المعني.

فعليه وعلى حد تعبير *"Alberto Lopez":*

"كنا من قبل نملك نزعة استيعاب الملاحظة على شكل تسجيل مبسط للمعطيات المتعلقة بظاهرة أو موضوع خاص..."

[1] لويس كوهن، لورانس ماينون. **مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية**، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط1، ترجمة: أد. كوثر حسين كوجك، وليم . تاوضروس عبيد، القاهرة ، مصر: 1990، ص160

لكن لا يوجد فعل صرف في الحقيقة الملاحظة قبل كل شيء هي إجابة على تساؤلات تطرح من طرف فاعل يمنحها شروطا أكثر تحديدا،[1] فيتم التمييز بين نمطين من أنماط التصنيف، الأول يتطابق مع العلوم الطبيعية والثاني أكثر تنظيم:

فالدرجة الأولى تتعلق **بالملاحظة *الغير منظمة*** ،إنها ملاحظات يمكن مع ذلك أن تشكل توجها، فكرة بحث، إنه موقف عام يقوم على الاستعداد لإدراك الواقعات الدالة التي قد تظهر في حقل الملاحظة، فنجد بعد ذلك **الملاحظة المهيأة** (منظمة) فالباحث يجمع المعطيات في ميدان محدد مسبقا على صلة بعوامل محددة ثم **الملاحظة المسلحة:** تلك التي تعبر عن حالة استخدام الاختبارات أو الملاحظات المراقبة وفيها يرى الباحث دون أن يلاحظ وهذان النمطان الأخيران من الملاحظة، يحلان غالبا في العلوم الاجتماعية محل مرحلة التحقيق من الفرضية أو التجـــــريب.[2]

4- البحث الميداني والحقول المجاورة:

من الصعب تحديد مفهوم البحث الميداني لأنه غير مبلور أو غير منتظم الشكل فهو توجه نحو البحث أكثر من كونه مناهج وتكنيكات ووسائل، فالباحث الميداني غير معتني بتطبيق الطرق العلمية واستخدام الوسائل المختلفة لتحقيق المعلومة يقول *Schatzman and Strauss*:

الوسيلة الميدانية تشبه المظلة التي تستخدم تحتها أي طريقة لاكتساب المعرفة الخاص بالتفكير.[3]

---

[1] Hélène Hatzfeld- Jackie. Spielgestein. **Méthodologie de l'observation social- comprendre- évaluer- agir**, dunod, paris, France : 2000, p70

[2] مادلين غرافيتز. **نفس المرجع السابق،** ص67

[3] لورانس نيومان . **نفس المرجع السابق** ،ص 342

كما شدد الباحثون الاجتماعيون الانثروبولوجيون بغالبيتهم الساحقة على دراسة نظم المجتمع الواحد إما من الناحية التطورية وإما من الناحية السوسيولوجية - أي تحليل ترابط أجزاء المجتمع بعضه ببعض دون العودة إلى أصوله "أصول الترابط" الزمني،هذا مع العلم أن لفظة ***"اثنولوجيا"*** تطلق على البحوث التي تهتم بنظم التطور ضمن الحضارة الواحدة، منطقيا كان عليهم تحديد المجتمعات أولا ثم يتناولوا دراسة كل منها على حدة فحصروا لفظة مجتمع في المجموعات المتفاعلة والحضارة في نتاج ذلك التفاعل[1]

- إن غايات الاثنو- انثروبولوجيا ومناهجها متممة لغايات ومناهج العلوم الاجتماعية الأخرى ما يجعلنا ننظر إليها في سياق الدراسات الإنسانية أي الإنسان كموضوع، يعكس محطة نسق الفعل الاجتماعي وبهذا الصدد تقول **ماري دوجلاس:" إذا كنا متجهين نحو مرحلة علمية إنسانية فستكون هذه المرحلة هي مرحلة علم الإنسان وعليه فإن الإنسان بوصفه الطرف العارف سوف يدرك أخيرا ذلك الإنسان موضوع المعرفة والذي هو مفتاح كل علم طبيعي ، فالإنسان هو كل ما يمكننا أن نعرفه ".**[2]

إن" مكان علم الاجتماع" هو الانثروبولوجيا وأن***"موس"*** كان في عام ***1938*** أول من ادخل كلمتي"الانثروبولوجيا الاجتماعية في الترمينولوجيا الفرنسية،[3]فطرق البحث تتفق مع طبيعة الظواهر الاجتماعية الذي يتم دراستها وهكذا نلاحظ أنه بينما تتفق العلوم الاجتماعية في الموضوع وهو الحياة

---

[1] فؤاد إسحاق الخوري . **مذاهب الانثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون**،ط1، دار الساقي، بيروت ،لبنان:1992،ص47

[2] Douglas- Mary anthers .Ed. **Man in society – patterns of humar.** Organisations, doubles company tnc .new York 1964, p15

[3] كلود ليفي- ستروس . **الانثروبولوجيا البنيوية.** منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ترجمة : د. مصطفى صالح، دمشق، سوريا: 1983، ص12

الاجتماعية، فإنها أيضا تتفق في المنهج المستخدم في دراسة ذلك الموضوع ولكن هذا الاتفاق يتحول إلى اختلافات عند الانتقال من المفهوم العام للموضوع والمفهوم العام للمنهج إلى المفاهيم التخصصية أو الفرعية.[1]

فعلى سبيل الحصر نجد التجريب في الانثروبولوجيا يسبق الملاحظة والفرضية معا، وتقوم احد وحدات المجتمعات الصغيرة التي تدرسها على أن كلا منها يؤلف تجربة جاهزة ... فيمكن القول تقريبا بعبودية الملاحظة كما يمارسها الانثروبولوجي إذ يغادر الانثروبولوجي بلده ومنزله خلال فترات طويلة، كما يهجر عاداته ومعتقداته وقناعاته فيصبح متواطئا معها دون قيد عقلي ،ليمارس "الملاحظة التامة".

إن هذا التناوب الإيقاعي بين منهجين: ***(الإستنتاجي/الاختباري)*** وتصلبنا في ممارستها بشكل متطرف وممحص، يمنحان الأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصتها المميزة بين فروع المعرفة الأخرى.[2] ومن جهة أخرى تعيد الانثروبولوجيا الوجودية ***سارتر/ماركوز*** تأسيس حق الذات سواء كانت ذاتا جدلية نظرية أو عملية في نقد العالم الموضوعي وبذلك تتحول الثنائية المنتظمة إلى التفرقة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، لكن عندما يتعلق الأمر بالعلوم الإنسانية يكون المنهج الجدلي أوالنقدي وحده صاحب الشرعية[3]، فالبحث عن الأسباب يقضي إلى البحث عن تجربه خارجية وداخلية في آن واحد، والقاعدة الشهيرة القائمة على"النظر إلى الواقعات الاجتماعية على أنها أشياء" تقابل المنهج الأول وان نتحقق من صحته ،فحسب المنهج الثاني فهي تمنح لنفسها أسبقية الشرح السببي على الفهم، كما تكتشف لنفسها

---

[1] عاطف وصفي. **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، دار النهضة العربية،ط3،بيروت،لبنان:1993,ص ص. 27-28

[2] كلود ليفي ستروس. **نفس المرجع السابق**،ص27

[3] جاك هارمان . **خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**، دار المسيرة، ط1 ، ترجمة : د. العنصر العياشي، عمان، الأردن: 2010، ص48

[4] كلود ليفي ستراوس. **نفس المرجع السابق**، ص17

موضوعا ذي خاصية موضوعية ومشخص جدا من الناحية الذاتية،[1] كما أن تداخل الحقول المجاورة بدأ مع علماء القرن التاسع عشر(م)، مع بروز اتجاهات جديدة تهتم أكثر بدراسة النظم الاجتماعية من زاوية اجتماعية صرفة، أي في حدود البناء الاجتماعي وليس في حدود علم النفس الفردي، فمثلا عندما درس ***"ماكلينان"*** نظام الزواج ***exogamy*** رفض صراحة إرجاع تحريم زواج المحارم إلى عامل الأسباب البيولوجية كما يعرف رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية في هذا القرن ***19م*** باسم ***"علماء المقاعد الوثيرة***: يقصد بذلك عدم اعتمادهم على أنفسهم في جمع المعلومات عن المجتمعات التي يدرسونها[2]وهنا يجب أن نأخذ في الحسبان جوانب هذه العلاقة التي تخص الانثروبولوجيا والفروع الأخرى، بحكم أنها تراعي وتحيط بالأساطير فتفصلها عن باقي التخصصات الأخرى وذلك بالابتعاد هي الأخرى عن المقاربات الثنائية لتعبر عن ***"غيرية انثروبولوجية" altérité anthropologique***"نافية بذلك كل وضعية متقابلة أو عكسية فعلى سبيل المثال: مسألة التقليد والحداثة اللتان تؤكدان على درجة تعقد العلاقات والصعوبات القائمة على مخطط تداولي.[3]

مدخل إلى فينومينولوجيا الملاحظة (التجربة الذاتية والميدان) :

إن الباحث الأنثربولوجي أو الاتنولوجي والذي يجد نفسه منغمسا في مجتمع ليس مجتمعه ينبغي عليه ، بالفعل بذل جهد خاص لفهم ما يحدث في الحضارات المتميزة بخصوصيات ثقافية متنوعة ومغاير للثقافة والبيئة التي نشء فيها، فليس من السهل فهم حقائق المجتمع المحلي دون الولوج إلي عمق البناء الاجتماعي والنمط

---

[2] عاطف وصفي. **المرجع سبق ذكره،** ص ص.27-28

[3] Gérard Berthou. **Anthropologie et société- pour circonscrire davantage et experts – terrains : attention zone d expérience,** Ed libraire Droz, Genève : 1992, p145

الثقافي لهذا المجتمع معتمدين في ذلك عل ملاحظاتنا الاتنوجرافية والاستكشافية، موظفين بذلك لغة المبحوثين على شكل استراتيجية هوياتية متكيفة في الحياة اليومية، فالذات الباحثة كذات ملاحظة ترتكز علي المدخل الفينومينولوجي في دراسة السلوك البشري وفهم طبيعة الإنسان وذلك بدراسة الخبرات الذاتية،أي إدراك الفرد لذاته والخبرات التي اكتسبها من المواقف السابقة ومن ثم تفسيره الخاص للأحداث، كما سيهتم هذا المدخل بالمعاني التي يمنحها الفرد للأحداث أو الظواهر، فهذا التصور يعبر عليه ***بالمدخل "فينومينولوجي"*** لكونه يعتبر كل إنسان ظاهرة في حد ذاته، فالطريقة السليمة لمعرفة الكثير عن سلوك الفرد تكون عن طريق إدراك هذا الفرد لذاته ولعالمه الداخلي، فيكون هذا الأخير أصدق من إدراك الآخرين له ولعالمه الداخلي،[1] ففي كتابه ***"الرد والمجتمع "1919*** أدخل عالم الاجتماع ***ثيدور- ليت*** أول رؤية ظواهرتية على البحوث السوسيولوجية وقدم كتابه هذا بوصفه أهم الإسهامات النظرية للفينومينولوجيا المعاصرة، الفكرة التي اعتبرها غير قابلة للتطبيق على تلك "الظواهر ذات الطبيعة النفسية المركبة على نحو يسمح للملاحظ بإدراك نوع تنظيمها الداخلي علي شكل تجربة إدراكية واحدة، فاتحا المجال أمام تحليل جميع الظواهر التي تدرسها العلوم الاجتماعية.[2]

فالملاحظة بالمشاركة هي الأخرى قد تنير تلك النقاط المتناقضة أو المطابقة لـ الخطابات أو السياقات الخاصة بالأفعال والتفاعلات، فبعيدا عن التصور الأكاديمي

---

[1] عبد الكريم بوحفص . **التكوين الاستراتيجي لتنمية الموارد البشرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر:2010، ص74

[2] علاء جواد كاظم. **نفس المرجع السابق**، ص127

تبقى التقنية مجاورة للعلوم الاجتماعية،فكان ذلك منذ بداية الجدل القـائم بين البراديغمات الموضوعية والموضوعاتية.[1]

إن الازدواجية ***(dualité)*** التجريبية هي بين الحدود والعلاقات، أي بين علل الإدراك وعلل العلاقات، بين قدرات الطبيعية المخفية ومبادئ الطبيعة البشرية، كما يمكن تقديمها في السؤال التالي:كيف تتكون الذات في المعطى؟ علما أن المعطى هو نتاج قدرات الطبيعة والذات مبادئ الطبيعة البشرية، فبين العلاقات والحدود-الذات والمعطى مبادئ الطبيعة البشرية، فسوف تدعى غير تجريبية كل نظرية تعتبر بصورة أخرى أن العلاقات تنبثق من طبيعة الأشياء،[2] فهذا ما يذهب إليه ***"دوهيم"*** الذي يطور فكرته من خلال تقديم نقطة أخرى مهمة، إننا كثيرا ما نتكلم عن إزالة أسباب الخطأ في التجربة أو الملاحظة عن طريق القيام بالتصويبات اللازمة، هذه التصويبات تكمن في الأساس في رأي ***"دوهيم"*** في تحسين التفسير النظري للتجربة،[3] فمن خلال وصفنا لنفس الأفكار الملازمة لقياس المسافة بين الباحث وموضوع البحث يمكننا تحديد الصيرورات الموضوعاتية وفقا لـ

- تحديد الوصف بدقة.
- كل مرة يتـــوقع الملاحظ والفرد الخاضع للملاحظة وفقا للرابطة المتواجدة بينهما.
- تخصيص الشروط الخارجية، المتعلقة بـ: القطيعة، التراجع، الانتقاء، التنظيم.

---

[1] Catherine Levasseur et all. **Réflexion et analyses de l'expérience de terrain-** acte du colloque – sciences humains appliquées Montréal. 12 mars. 2010. 48

[2] جيل دولوز. **نفس المرجع السابق،** ص175

[3] دونالد جيليز. **فلسفة العلم في القرن العشرين،** دار التنوير، ط1، ترجمة : د. حسين علي، بيروت، لبنان: 2009، ص356

- الأخذ بعين الاعتبار تعدد الأبعاد وذلك بتفسير التفاعل والتداخل الخاص بهذه الوضعيات، مع الانتباه إلى تأويل الفرد والتي قد تأخذ بعدا تحويليا جماعيا.

لذلك يأخذ بعين الاعتبار ثنائية التعارض التي تخرج الفرد من مشاكله، ذلك من أجل تدقيقها وتقليصها،[1] فالتجربة الذاتية عند الباحث السوسيولوجي هي تجربة تراعي السياق التاريخي لمجتمع البحث أولا، فالباحث الاثنولوجى يقوم بملاحظة النسق، كما يجب عليه أن يربط تجاربه الذاتية مع مجتمع البحث وفئة العينة البحثية المراد دراستها إضافة إلا تاريخا نية العلاقات القائمة بين تجاربه الشخصية والخصوصيات الاثنوجرافي، لهذا المجتمع ففي نظر ***"مانهايم"*** يتم الاستدراج شيئا فشيئا إلى استبدال الملاحظة المعتبرة الموضوعية وأحيانا الكمية وذلك بالملاحظة المشاركة أو بالقصص الحياتية وذلك لإدراك تحولات الشخصية بشكل أفضل، حيث يعسر إدراك الصراعات الفردية التي كنا نجد بعض جذورها في بعض المواقف الأولية، فتتردد حتى في الحركية العلمية ومن هنا، لم تكن الخطوة واسعة في تعميم هذا التوكيد على كل علماء الاجتماع وعلى أنفسنا قبل كل شيء، فإن الملاحظ حينها يضع نفسه فيما يلاحظ،[2]وفقا للعلاقة المباشرة مع مجتمع البحث المدروس مع معايشة ظرفية مخضعا العلاقة القائمة بين الأفراد للتحليل والاستقلالية: فالباحث يسجل كل إحساساته،عواطفه، مكنوناته، فهو عموما يتحرك في إطار الدراسة التي من خلالها يمكننا استحضار ***"العلاقات البينية"*** بين الباحث وموضوع

---

[1] Ruth canter Kuhn, **Les enjeux de L observation**, puf, 1ére Edition, paris, France : 1982 ; p86

[2] روجيه باستيد، **السوسيولوجيا والتحليل النفسي**، دار الحداثة ، ط1، ترجمة : وجيه البعيني، بيروت، لبنان :1988، ص286

الدراسة،[1]معتمدا في ذلك على حلول تأمل عموما في اقتباساتها من ثقافة المجتمع الذي يرغب الباحث في فهمه: فهو يحاول إعادة تشكيل نظرته للعالم وأنساق التمثلات، إضافة إلي كل الفئات ليقترب أكثر من وجهة نظر الفاعلين، إلا أن التصور الإكلينيكي قد يشكل مجازفة تتمثل في المطالبة بنوع من الانغـــلاق داخليا نحو خطابات الآخرين مع انعدام أي معالجة (المعرفة خصوصية الآخر).[2]

ففي العالم الاجتماعي الفاعلون يتموقعون الواحد تلو الأخر وفي سياق وضعيات مختلفة ناتجة كردة فعل لتلك المكانات الاجتماعية الصورية واللاصورية الأدوار، المصالح، الموارد التي تجسد الفعل،العلاقات، التحالفات والتناقضات، فالفاعلون هم حاملون لرؤية وتجارب مختلفة، فبدلالة الظاهرة متغيرة المواقع ووجهات النظر، يمكن بناء شيئا فشيئا عينة تسمح لنا باختيار فئات لهؤلاء الفاعلين وفئات أخرى فرعية تتفق بوضوح خارج أي حقيقة،[3]فتجربة هؤلاء في فترات سابقة قد تمنعنا من معرفة "***ملاحظة نسقية***" تسمح لنا بفهم تلك العلاقات القائمة ما بين الأحداث المنفردة متطرقين بذلك إلى نماذج القوانين الأساسية.[4]

فالملاحظة بالمشاركة هي تلك الدراسة الطبيعية حيث تأخذ بعين الاعتبار العلاقة المباشرة لدى الباحث مع المجتمع المدروس، حيث يتعايش هذا الأخير بعض اللحظات ليحلل ويحرك هذه العلاقات: فهو يسجل إحساساته ومكنوناته علي

---

[1] Ababecar Mbongue. **Position épistémologique et outils de recherche en management stratégique** : isabelle vendangeon @uni- lyon3. Fr. p13

[2] Gilles – bibeau. **Repères pour une approche anthropologique en psychiatrie - regard Anthropologique**. Ed giram. Laval. 1987. P14

[3]Delphine burrick. **Une épistémologie du récit de vie - recherche qualitatives** .qc.ca/revue html, 2010 n°8, p43

[4] Norbert élias**. Qu'est-ce que la sociologie.** Edition l'aube, paris, France : 1993, p43

شكل تلك ***العلاقة البينية*** ***"interrelationnel"*** بين الباحث وموضوع الدراسة،[1] فمن منظور فينومينولوجي ووفقا للممارسة البحثية ***"praxis"*** تقدمية تارة ونكوصية تارة أخرى يؤكد ***"a- Esterson"*** قائلا :

" هناك ثلاثة فترات تحقق حركية وبكيفية تقدمية /استرجاعية، ترتكز على تعميم الطريقة، ففي الفترة الأولى يسجل الملاحظ فينومينولوجيا" الوضعية ومتناقضاتها، تلك التي خلفها النسق والمتعلقة بالتجربة الذاتية التي تأخذ بعين الاعتبار من المشاركين، أما المرحلة الثانية وفي وضعية استرجاعية يتم فيها تحليل تاريخي لجملة من المعطيات،أحدها يخص فئات التاريخ النسق والأخرى عبارات التي تخص تاريخ العلاقة مع النسق وفي المرحلة الثالثة نقوم بنشاط توليفي"تركيب" تقدمي، فالاكتشافات التاريخية نتوسطها فرضية مرتبطة" بتركيب أفعال الملاحظة الفينومينولوجية في إطار تعميم شامل أين يستخرج الملاحظ معاني النسق وكل مشاركاته..."[2]

إذ يكون ضروريا تعرف عالم الاجتماع على الأحداث الحياتية عند أولئك الذين يستجوبهم وتطبيق ***"الملاحظة التكثيفية"*** التي قال بها ***"لا سويل"*** إلا حد ما وتبعا لكونه يستخدم معطيات مأخوذة من الآخرين أو منه بالذات، فيجب عليه إما اخذ نزوات الآخرين بعين الاعتبار لتلتقي هذه الإيحاءات المنهجية مع إيحاءات ***مورينو*** الذي يطلب من الباحث الاجتماعي ألا يكون مجرد مشاهد، بل أن يشارك وكأنه ***"أنا مساعد"*** في الملاحظة والدخول في الفعل الاجتماعي بشكل أفضل من الداخل، علما بأن فكرة ***مورينو*** تختلف قليلا وتعود كليا إلى ضرورة الملاحظة بالمشاركة.[3]

---

[1]Aboubacar mbengue ;**ibid**., p13

[2]Omar aktouf .**ibid**.p182

[3] روجيه باستيد . **نفس المرجع السابق**، ص، ص287

5- الملاحظة الميدانية وإدراك الواقع:

لقد طرح ***"a. Schutz"*** الإمكانيات السوسيولوجية الهائلة التي تنطوي عليها الفينومينولوجيا في دراساتها للواقع الاجتماعي وعلى ضوء ما جاء في **مؤلفه:** ***فينومينولوجيا العالم الاجتماعي*** ،

يمكن تفسير تشكل الظواهر الاجتماعية من خلال الناس العاديين و***"الخبراء"*** والهدف من ذلك هو توضيح مدى الثراء الفكري الذي يمكن أن تنطوي عليه محاولات ***التنظير"*** بالاعتماد على "الأجندات الشائعة"التي تزخرفها الحياة اليومية[1] وإذا ما اعتبرنا السوسيولوجي كباحث مختص في علم الاجتماع وليس كفرد يعيش ويستقر في حياة يغلب عليها جانب الغموض والخصوصية، فهو باحث علمي يقوم بالملاحظة وبكيفية عفوية ذات معاني معلنة.

انه يتراجع في مشاركته في أي حقل خاص في مشروع ما، مستحضرا العلاقة القائمة بين الأدوات والغايات، بين الحافز والفرصة، الأمل والاحتراز والتي يمكن من خلالها أن يوظف الفاعل الاجتماعي تأويلا لخالص خبراته، فهو يحاول ملاحظة وتسجيل ووصف هذا العالم الاجتماعي بوضوح وبعبارات أكثر تحديدا.[2]

هذا ما جعل ***"A-Schutz"*** يحرص حول مدى إمكانية أن نضع نظاما أو برنامجا للمعرفة الموضوعية وبناءا للمعنى الذاتي؟ هذا التساؤل الذي سعي لإجابة عليه من خلال طرحه للعديد من الحقائق المرتبطة بالعالم الاجتماعي والتي جاءت في صورة أربع أنماط مثالية حاول من خلالها تفسير العالم الاجتماعي وهي :

- عالم الخبرة المباشرة للواقع الاجتماعي

---

[1] السيد الحسيني، **نحو نظرية اجتماعية نقدية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان:1985، ص250

[2] Alfred Schutz..**L'étranger- un essai de psychologie social**, Edition alia, paris France: 2003pp.9-10

- عالم الخبرة الغير مباشرة للواقع الاجتماعي
- عالم اللاحقين
- عالم الأسلاف.

إن الملاحظة كأداة لا تستهدف مجرد الوصف الظاهري، فالباحثين يحاولون من خلال ملاحظتهم الكشف عن المعاني الخفية أين يشبه دور الباحث إلى حد كبير دور من يقوم بحل الشفرة أو الرموز، إذ أن مهمته وهو يستخدم طريقة الملاحظة أن لا يقف عند حد الوصف الظاهري بل يبحث عن المعنى الكامن وربما دفع هذا البعض إلى القول أن الملاحظة المباشرة ليست كافية في حد ذاتها بالنسبة لأولئك الذين يأتون من ثقافة أخرى، بمعنى آخر لا ينبغي أن تكون الملاحظة بمعزل عن السياق الثقافي للمجتمع،[1] حيث يجب الأخذ بعين الاعتبار تأثير الموقف على الملاحظ فبعض الملاحظين المشاركين من ذوو الخبرة تحدثوا مرارا عن الصعوبة التي واجهتهم في المحافظة على حيادهم وسط جماعة حميمية وبمقدار ما يحسن معرفته بالأشخاص فيلتزم الملاحظ بعملية التفاعل معهم بعمق أكثر[2]، كما يذهب البعض ***كماركس ودوركايهم*** إلا أن الواقع الاجتماعي كموضوع قائم بذاته، مستقل في وجوده عن الأحداث التي أدت إلى قيامه مما دعي ***دوركايهم*** إلى الدعوة لتناوله كشيء، فهو يعبر عن حقيقة موضوعية كحالة وجودية ذاتية ويمكن دراسته من خلال مكوناته وعلاقاته وذلك بملاحظتها مباشرة ، كما أن دراسته تعتمد على تحديد ما يرمز لمعناه في أفعال الناس وأفكارهم ومشاعرهم، فتصبح أفعال الأفراد وأقوالهم وتعبيراتهم مصادر لحقيقة الواقع ولا يمكن للباحث هنا أن يلاحظ الواقع

---

[2] محمد عبده محجوب،فاتن محمد شريف.**الثقافة والمجتمع البدوي**،ط1،دار الوفاء، الإسكندرية،مصر:2006، ص40

[2] تيودور كابلوف. **نفس المرجع السابق**، ص126

الاجتماعي مباشرة بل يمكنه التوصل إلى معناه بما يعبر عنه في أفعال وأقوال وتعابير الناس،[1]فالاتجاه الواقعي ،يرتبط في علم الاجتماع بالدعوة إلى مفاهيم معينة كـــــ:المجتمع ،الثقافة،الجماعة،القيمة، تشير إلى كيانات واقعية يمكن فحصها إمبريقيا، فالمذهب الواقعي كاتجاه مضاد للمثالية المعرفية، مؤداه أن العالم الخارجي موجود في الواقع ومستقل ومنفصل عن الإدراك والعقل وأنه منعكس في التجارب الحسية بدقة معقولة[2]ومن أبعاد النظرة الواقعية إدراك أفراد المجتمع بأن خبراتهم في علاقتهم مع الواقع الاجتماعي إنما تخضع للديالكـــتيك الماركسي في كل من بنائها وظاهرها وهذا ما يعني به ***باسكر***في تصوره للخبرة في تفاعلها مع ضغوط الواقع وتحدياته حيث يتم تركيب بناءها الداخلي وصولا إلى الصيغة الجديدة لهذه الخبرة وهذه العملية (الديالكتيكية) التي لا صلة لها بمظهر الخبرة أو شكلها الخارجي قد تسمح بتغييرها بدلالة تغير البناء الداخلي أو قد سيتم على ظاهره فهو يهتم بالمتغيرات التي تحدث لعمليات الإنتاج وعلاقات العمل.[3]

كما تسمح الملاحظة في عين المكان بادراك الواقع المباشر عندما نكون متواجدين في الميدان حيث تكون الفرصة متوفرة لمشاهدة كل ما يحدث،هكذا نصل إلى مسعى تأويلي يكون قائم على واقعية لا يمكن إنكارها إذا كان هناك فارق بين أقوال شخص ما وأفعاله وهذا معقول جدا لأننا ندرك أنفسنا بصفة ملائمة دائما فإن هذه الهوة ينبغي ألا تخفي عن الملاحظ المتمرس[4]وهـــــنا يستوقفنا ما جاء به ***"ماكس فيبر"*** :

---

[1] إبراهيم عثمان**. مقدمة في علم الاجتماع** ، دار الشروق ،ط1 ،عمان ،الأردن :1999 ، ص ص 58-59

[2] محمد عاطف غيث**. قاموس علم الاجتماع** ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،مصر :2006 ، ص 346

[3] أمير محمد عبد الله**. النظرية السوسيولوجية بين المشهد والموقف** ، منشآت المعارف ،ط3 ، مصر :2006 ، ص54

[4] موريس انجرس**. نفس المرجع السابق،** ص 190

"إن موضوع الإدراك بالنسبة إلى علم الاجتماع بمعناه الحاضر هو مركب من المعنى الذاتي للأفعال ، فالمجتمع يملك بالفعل إدراكا موضوعيا للحقيقة والفهم الموضوعي فهو ما يجعل(واقع) المجتمع إدراكا موضوعيا للحقيقة ؟ أو بعبارة أخرى،فإن فهما كافيا للواقع ككيان مستقل عن المجتمع يتطلب بحثا في الطريقة التي يتشكل بها هذا الواقع وهو بالتحديد المنعرج الظاهراتي للتفسير الثقافي *لتجليات الواقع الموضوعي في مواجهة الوعي الإنساني*[1]

وبعبارة أخرى يوجد **"وساطة "**بين البني الاجتماعية أو العلاقات الاجتماعية والوعي وذلك ما يعبر عليه بـ***"التمثلات"*** أو***"البنية التأويلية للواقع الاجتماعي "***.

فمن منظور هذه الوساطة يمكننا اكتساب تجربة بالنشأة الاجتماعية، فالفرضية المتوقعة هو كون "البني التأويلية للواقع الاجتماعي" تشكل وجود مستقل نسبيا بالنسبة للفاعلين ولكن بوجود وساطة للذاتية[2]، فالواقعية الخارجية شديدة القرب من وجهة النظر التي تؤمن بوجود واقع له أونطولوجيا الموضوعية ،إلى أنه قد لا يسلم بهذا قطعا الآن الزعم بوجود واقع يستقل عن أشكال التعبير التي تؤمن بوجود واقع يستقل عن أشكال التعبير التي تمثله ***(أي الواقعية الخارجية)*** لا يتساوى تماما مع الزعم القائل بوجود واقع مستقل عن العقل وهذا يرجع إلى أن استقلال العقل ينطوي على استقلال القدرة على التعبير عن الوجود وتمثيله (لأن أشكال وجودها في غنا كيفية أن يكون لوجودها كيفية توجد عليها، فكيف توجد أشكالها

---

[1] علاء جواد كاظم**. المرجع سبق ذكره** ، ص132

[2] Jean .Rémy . Danielle .ruquoy **.méthodes d'analyse de contenu et sociologie**, p-u -f, saint- louis, buruxel, Belgique ; 1990, p23

وكيفياتها[1] هنا يستوقفنا ***هوسرل*** وبالخصوص كتابه:"بحوث منطقية" *1901*، حيث تمكن فعلا من تأسيس علم الماهيات بوصفه مركزا للثقل في فلسفته ،التي بنيت عنده على قلب النظرة العلمية من الخارج(**الواقع**) إلى الداخل(العقلي) وتحليل نشأة العالم في الوعي الإنساني على اعتبار أن "مجمل العمليات المنطقية هي عمليات سيكولوجية تجري واقعيا في الذهن البشري وأن القوانين التي تسمى منطقية ليست سوى القوانين العامة التي تجري حسبها هذه العمليات .

شكل رقم(1)

الفينومينولوجيا المتعالية بوصفها دراسة عملية للذات في علاقتها مع العالم[2]

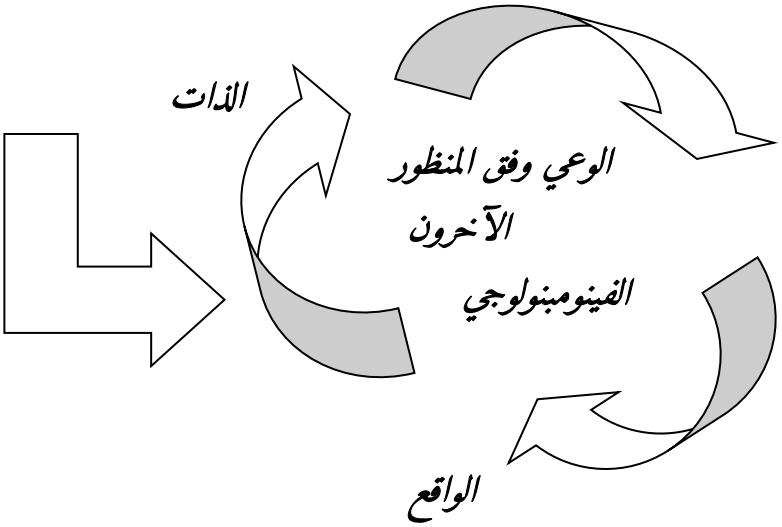

الخاتمة (استنتاجات منهجية):

من المعلوم أن العلوم الاجتماعية تشكل اليوم الشغل الشاغل بل المشكل المحوري للجامعات والمجتمعات الغربية، فبعد أن عانت هذه المجتمعات

[1] جون.ر. سيرل .**بناء الواقع الاجتماعي – من الطبيعة إلى الثقافة** ،على مولى ،ط1، ترجمة : حسنة عبد السميع ، القاهرة،مصر:2012 ، ص191

[2] علاء كاظم جواد. **نفس المرجع السابق** ،ص ص..121-122

مخاطر التطبيقات المكثفة والسريعة للعلوم الدقيقة، فصاحب ذلك فقر منهجي على مستوى أدواة البحث، يتكرس بسرعة فائقة، ويزداد خطورة طالما بقينا نمارس تلك المناهج الوضعية المهيمنة والمفروضة علينا وبالخصوص الأدواة التى بها نأسس النموذج، واضح أن مثل هذا الموقف يستلزم وضع وإنتاج قيم ومفاهيم ومصطلحات وصياغة مناهج نابعة من المجتمع الأصلي، فعظمة المجتمعات لا تقاس بالأشياء المادية المستوردة والمكدسة بل تقاس بالأفكار والمفاهيم المتداولة حولها ***وبمدى قدرتها علي صناعة النموذج*** *وفي هذا الإطار سنتناول جملة النتائج التي تخص هذا الوضع :*

- ليس هناك شئ اسمه بيانات خام فالوقائع كلها تأخذ واقعيتها فقط من كونها متجسدة في إطار نظري موجود من قبل، فقد ننطلق من مقدمات مختلفة لنصل إلي نتائج وتفاسير مختلفة.
- أداة البحث ليست هي المنهج، فقد نجد أداة واحدة ينادي بها أصحاب المناهج المتبنية للنموذج الوضعي وينادي بها أصحاب المناهج السكولاستية، فقد يستخدم النموذج التجريبي وفي ذهن الباحث أن الجماعة التي يقوم بملاحظتها، هي مجرد عينة من المفحوصين، يريد التحقق من صدق نظرية ما عنهم، فهو ينظر إلي أفراد الجماعة عينة البحث علي أنهم أناس يريد أن يفهمهم بكيفية : تأويلية ، بنائية ويغير من واقعهم إلي الأفضل، وفقا لاهتماماتهم الحقيقية وقناعاته هو.
- في الاتجاهات الوضعية يقف الباحث في ملاحظته للحقائق خارج الظاهرة، يتجاوز مفاهيمه واتجاهاته ويتمسك بالأطر المفاهيمية والنظرية السابقة، أما الباحث في الاتجاهات الضد وضعية يعتمد علي تحيزه الأكسيولوجي ويحاول

الدخول المتدرج لقلب الظاهرة المدروسة، محاولا تعليق انتماءاته النظرية والفكرية والثقافية حتى لا تغيب ملامح رؤيته للظاهرة.

- ❖ يحافظ الباحث في الاتجاهات الوضعية علي وجود مسافة نفسية وعقلية بينه وبين مجتمع بحثه يدرك المعاني ثم يعيد صياغتها داخل النسق النظري الذي يتبناه، أما في الاتجاهات الضد وضعية يحاول الباحث إقامة حوار مع كير قيد المسافة الفكرية والثقافية والنفسية بينه وبين عالم المبحوثين بالاندماج في مجتمع البحث معارضا ثنائية : العامي/ العلمي .
- ❖ يركز الباحث في الاتجاهات الوضعية علي البعد الكمي للظاهرة المدروسة، مع اختزال تلك الجوانب الكيفية التي قد تفرض نفسها عليه في الظاهرة الملاحظة، أما في الاتجاهات الضد الوضعية، فيعتمد علي التعاطف الإنساني مع المبحوثين وذلك لإعادة بناء منظومة مفاهيمية متكاملة.

قائمة المصادر و المراجع:

❖ **بالعربية:**

1. إبراهيم عثمان. **مقدمة في علم الاجتماع**، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن:1999
2. أحمد الخشاب. **التفكير الاجتماعي- دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان:1981
3. تيودور كابلوف. **البحث السوسيولوجي الكمي**، دار الفكر الجديد ، تعريب: نجاة عياش، بيروت، لبنان:1970
4. جاك هارمان. **خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**.دار المسيرة، ط1، ترجمة:الأستاذ الدكتور العياشي عنصر،عمان،الأردن:2010.

5. جون.ر. سيرل .**بناء الواقع الاجتماعي – من الطبيعة إلى الثقافة** – على مولى ،ط1، ترجمة: حسنة عبد السميع ، القاهرة، مصر:2012
6. حسين فهيم. **قصة الانثروبولوجيا- فصول في تاريخ علم الإنسان**، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، العدد98 ، الكويت، 1986
7. دونالد جيليز. **فلسفة العلم في القرن العتشرين**، ط1، دار التنوير، ترجمة: د حسين علي، بيروت: 2009
8. رجاء وحيد دويدري. **البحث العلمي- أساسياته النظرية وممارساته العملية** – دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا: سبتمبر2000
9. روجييه باستيد. **السوسيولوجيا والتحليل النفسي**، دار الحداثة،ط1، ترجمة وجيه البعيني، بيروت، لبنان:1988
10. السيد الحسيني. **نحو نظرية اجتماعية نقدية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان:1985،
11. عاطف وصفي. **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، دار النهضة العربية،ط3، بيروت، لبنان:1993
12. عبد الكريم بوحفص. **التكوين الاستراتيجي لتنمية الموارد البشرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر:2010
13. عبد الله إبراهيم.**علم الاجتماع السوسيولوجي**، المركز الثقافي العربي،ط2،الدار البيضاء، المغرب:2006
14. غاستون باشلار. **الفكر العلمي الجديد**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ترجمة: د.عادل الحوا، ط2، بيروت، لبنان:1973.
15 لورانس نيومان.**المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع**، الدار العالمية للنشر والتوزيع،ط1، ترجمة عبد الرؤوف الضبع ،الجيزة: 2009

16 لويس كوهن- لورانس ماينون. **مناهج البحث في العلوم الاجتماعية و التربية.**الدار العربية للنشر والتوزيع. ترجمة: أ. د كوتزد كوجك. القاهرة، مصر : 1990.

17 مادلين غرافيتز. **مناهج العلوم الاجتماعية-الكتاب الثاني، منطق البحث في العلوم الاجتماعية**،المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ط1، ترجمة: د. سام عمار، دمشق، سوريا:1993

18 محمد الجوهري. **دراسات اجتماعية معاصرة**، دار المعرفة، ط1، القاهرة، مصر:2006

19 محمد عاطف غيث. **قاموس علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ، مصر :2006

20 محمد عبده محجوب. فاتن محمد شريف. **الثقافة والمجتمع البدوي**، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر:2006

21 مصطفى تيليوين. **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، منشورات الاختلاف،ط1، الجزائر العاصمة، الجزائر:2011

22. علاء جواد كاظم . **التأويل الذاتي للعالم- المنعرج السوسيوفينومينولوجي لنظرية الحداثة**، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد (15)، صيف2011 23

23. مولاي الحاج مراد. **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية**، CRASC: وقائع ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟، تيميمون 22،23،24 ،نوفمبر1999

قائمة المصادر و المراجع بالفرنسية:

1- Schutz. **l'étranger- un essai de psychologie social**, Edition alia, paris, France : 2003

2- Anne-M- Arborio- pierre fournier. **L'enquête et ses méthodes : l'observation direct.** Ed : Nathan. France : 1999

3- Catherine Levasseur et all. **Réflexion et analyses de l'expérience de terrain- acte du colloque – sciences humains appliquées Montréal.** 12 mars. 2010

4- Christophe d'argerg. **Observation incognito en sociologie ; Edition l'harmattan**, presse universitaire de Grenoble, France : 2012

2006

5- Delphine burrick. **Une épistémologie du récit de vie-recherche qualitatives** .qc.ca/revue html, 2010 n°8

6- Gérard berthoud. **anthropologie et société- pour circonscrire davantage et experts –terrains : attention zone d èxperience,** Ed libraire Droz, Genève : 1992

7- Gilles bi beau. **Repère pour une approche anthropologique an psychiatrie : Regard Anthropologique ,** Ed Giram ; Laval ; France :1987

8- Hélène Hatzfeld- Jackie. Spielgestein. **Méthodologie de l'observation social- comprendre- évaluer- agir**, dunod, paris, France : 2000

9- J. François. Barré. **L'application de l'anthropologie.** Les Edition KARATHALA. Paris. France : 2008.

10- Jean .Rémy . Danielle .rauqua .**méthodes d'analyse de contenu et sociologie,** p-f-u , saint- louis, buruxel, Belgique ;1990

11- Norbert élias. **Qu'est-ce que la sociologie,** Edition l'aube, paris, France :1993

12- Omar Aktouf. **Méthodologie en science social et approche quantitatives,** ed logique, Québec ; 1989

13- Roger bastide. **Anthropologie appliquée, p-b**- Payot 2e éd, paris, France : 1971

14- Ruth canter Kuhn. **Les enjeux de l'observation**- puf ; 1ere Edition, Paris. France : 1982.

15- S.LE-huu-Khoa. **Liens méthodologique et parenté épistémologique entre les sciences social, presses** universitaire du septentrion paris ; France : 2000

16- S-Dufour, dfortin, j-Hamel. **L'enquête de terrains en sciences socials**, les Edition saint martin, Montréal : 1991

17- Serge Genest. **Recherche anthropologique - technique et méthode** _les Edition du renouveau pédagogique- Chicoutimi- Québec : 2005

18- Samia karaoui . zouaoui. **Méthodologie de Recherche - guide pour Préparation de fin D'étude en Gestion,** Edition : CLE, Tunisie ; 2001